

ماذا تعرف عن الاسلام

٣

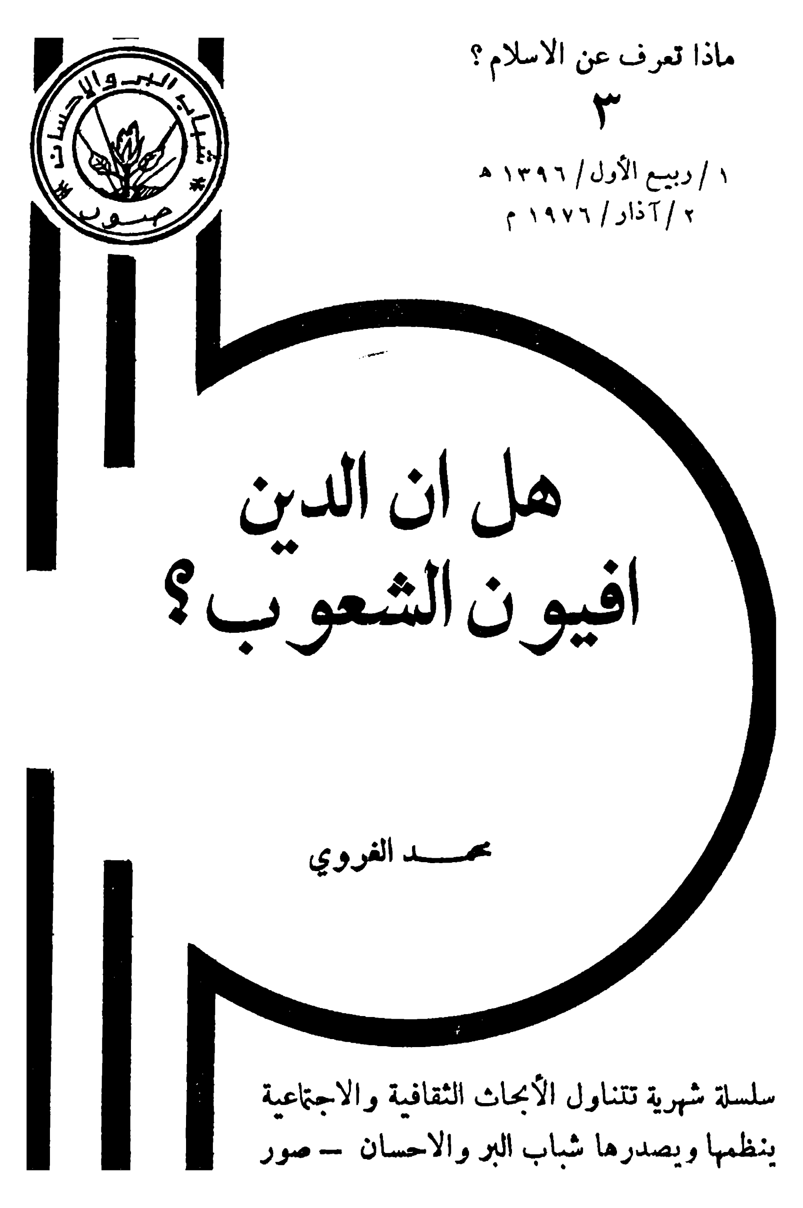
هل أن الدين أفيون الشعوب ؟

محمد الغروي

سلسلة شهرية تتناول الأبحاث الإسلامية والثقافية والاجتماعية
يشرف على تنظيمها وإصدارها شباب البر والإحسان



هل ان الدين أفيون الشعوب


شباب البر والاحسان
صور
ماذا تعرف عن الاسلام ؟
٣
١ / ربيع الأول / ١٣٩٦ هـ
٢ / آذار / ١٩٧٦ م
هل ان الدين
افيون الشعوب ؟
محمد الغروي
سلسلة شهرية تتناول الأبحاث الثقافية والاجتماعية
ينظمها ويصدرها شباب البر والاحسان — صور

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه الطاهرين .

ان النظـام المـاركسي بطبيعته وبنيته يطـارد الدين ، ويكفر به ، ويعدّه ظاهرة فوقية للبناء الأجتماعي التي تزول ويعفى اثرهـا عند اجتثاث الاسس والقوائم التي يرتكز عليهـا البناء الفوقي .

لقد حقدت الماركسية على الدين ، وصبت غضبها وسخطها في المحـاضرات والندوات والتعـاليم الكادريه ، على الدين ، واعتبرته مخدّراً وافيوناً للشعوب .

ونلمس بكل مرارة واسف ان جمعـاً من الشباب النزقين ، الطائشين يساورهم من هذا الموقف العنيف الألحادي تجاه الدين البهجة والسرور ، وينجرفون مع هذا التيار الماركسي العاتي العنيد ، زاعمين ان كلام سيدهم صواب ، وان مقـال رئيسهم ينبع من الفهم والدقة ، بالرغم من انه عار عن الصحة ومنزه عن الصدق والحقيقة .

ونحن في هذه النشرة المختصرة ، تناولنا هذا الموضوع بالدرس بصورة موجزة ، وحسرنا القنـاع عن وجه الحقيقة ، بعد الادلاء بتصريحات اقطـاب الشيوعيين ، وقادة الأحزاب الماركسية في الدين .

ولا نروم من هذا البحث التهجم أو الأفتراء اوالتنقيص من احد ، وانما نزمع في رحلتنــا هذه البـلوغ الى شاطىء الحقيقة والأرساء لدى ما يهدينا ويقودنا الىالمنطق السليم .

اننا نهدف الى مناقشة هذا الراي الماركسي اولاً وعرض الدين بشكله البهي الرائع ثانياً حتى يستيقظ الأنســان المغفل بايحاء الشيوعيين ، المنوم بالشعارت الفــارغة التي ترفعها اقطاب كرملين .

كما لا نتوخى من هذا النقاش الحــاد دعم منطق الرأسماليين والاقطاعيين ، المستغلين الفــاشيين الذين يمصون دمــاء الشعوب المضطهده ، ويعرقلون مسيرة الجماهير البائسة الى الحرية والتقدم والرقي .

ولنــا ــ بعون الله سبحــانه ــ جولة حــــاسمة مع بنية الرأسمالية والبرجوازية في نشرة ثانية .

الماركسية والدين :

بحث علماء الأجتماع مسألة حية طاغية ومعاشة في المجتمع البشري ، هي لماذا يتفاعل الأنسان ؟ او بالأحرى ما هي الوقود التي تحرك عجلات المجتمع ، وتحدو بالقافلة الانسانية الى الأمام ، وتقود موكب الأجيال المتلاحقة نحو التقدم والرقي ؟ ولماذا يمتلك الانسان البيت ويباشر بالأعمال الاجتماعية ، ويتخذ لنفسه اسلوبا خاصاً في الحياة ، ويتنكر لبعض الفئات والمذاهب ، ويهوى العلم والفلسة والدين و و ... ؟ لقد ابرزت مدارس اجتماعية مختلفة المنحى والاتجاه للرد على مثل هذا الاستفهام والاستفسار كما تصدت الماركسية للاجابة على هذا السؤال حسب تخطيطها وفلسفتها ونظرتها للمراحل التي اجتازها الانسان منذ البداية والنشوء ، ومنذ الايام الأولى لهذا الكائن الحي ، ومن اعماق التاريخ ، وابعاد الزمن الدائر المنصرم ، الى يومنا هذا حيث تقول الماركسية ، ان الوضع الاقتصادي لكل مجتمع ، يحدد وينشىء الظواهر الاجتماعية من السياسة والفكر والدين والتقاليد والاخلاق والسلوك و و . . .

ويكون الوضع الاقتصادي معلولاً ومتمخضاً من وسائل الانتاج والقوة المنتجة .

ان وسائل الانتاج وادواته الزيت الأول والأخير والمحرك الأساسي لدولاب المجتمع ، والوقود الذي يمد الانسان بالنشاط والحركة الى الأمام ، والقوة الكبرى التي تصنع المعجزات .

ويعني الماركسيون من وسائل الانتاج ، الأدوات والآلات التي يستخدمها الانسان في سبيل انتاج حاجاته المادية ، وقد تطورت هذه الأدوات عبر التاريخ السحيق منطلقة من الانتاج المباشر بواسطة اليد والذراع ومنتهية يومنا هذا الى تسخير الأجهزة الألكترونية ، البالغة في الدقة والمتانة في حقل التصنيع والانتاج .

ثم ان هذا التقدم في وسائل الانتاج ، يبعث على التقدم في الانتاج وعلى توثيق الصلات بين الناس وعلى دمج مصالح بعضهم مع بعض ، وعلى خلق علاقات معينة في ظل ظروف الانتاج الخاصة .

فمهما كانت الادوات اقدر واوسع ، كان الانتاج اكثر واوفر والارتباطات والعلاقات آكد وأشدّ .

ومن الطبيعي ان هذا التقدم والرقي على رأس الماركسيين لا يتأتى الا وفق الصراع والتناقض الطبقي الذي ينشب بين نمو القوى المنتجة ، والعلاقات الملكية المسبقة ، والذي يمتد ويفضي الى هزيمة العلاقات الملكية القائمة وانتصار القوى المنتجة .

ويعتقد الماركسيون بان الأفكار مهما كان لونها وطابعها ، ومهما كان محورها ومدارها ، ومهما كانت صياغتها وسبيكتها ، فهي نبتة الأوضاع الاقتصادية، وحصيلة العامل الاقتصادي، وان المحاصيل الفكرية والثقافية تتغير عند تغيير الأرضية الاقتصادية التي تتمثل بالأوضاع الاقتصادية .

ان الماركسيين يعتبرون القوى المنتجة ، المبنى والركيزة والأساس ، وجميع الأفكار من الدين والفلسفة وعلم الاجتماع والفن وكافة الظواهر الاجتماعية الثقافية من الأبنية الفوقية ، التي تنهار وتزول عند قمع واستئصال المبنى والأساس .

قال جورج بوليتزر(١) :

(١) من المجلد الثاني من كتابه أصول الفلسفة الماركسية تعريب شعبان بركات ص ١٢٩ طباعة صيدا .

يتولد البناء الفوقي عن الاساس ، ويزول معه ، ويكون مصيره مصيره اذ تتولد الأفكار السائدة في مجتمع معين من نموذج ملكية وسائل الانتاج التي تسيطر فيه . ليس البناء الفوقي اذن مجرد تراكم أفكار سياسية ، تشريعية ، فلسفية ، دينية، الخ... ذلك لان لهذه الافكار رابطاً داخلياً فهي تعكس نفس الأساس، وهكذا يكون الاساس والبناء الفوقي كلاً عضويا ، ولهذا فان البناء الفوقي الاقطاعي مرتبط ارتباطاً وثيقاً في جميع أجزائه بالاساس الاقطاعي » .

وقال كونستانتيوف في كتاب دور الافكار التقدمية في تطور المجتمع ص ٤ : «وأثبتت – الماركسية اللينينية – أنه ينبغي البحث عن منبع الافكار الاجتماعية والسياسية والحقوقية والدينية في الاقتصاد قبل كل شيء» .

ومن هذا المنطلق يشن الماركسيون الحملات والهجوم ضد الدين ويكيلون له بالصاع، التهم والافتراءات ، واليك شطراً من النصوص المأثورة من قادة الشيوعيين ، المدوّنة في كتبهم ، ونحن قد اقتطفناها من كتبهم مع التلويح الى مصدرها ومرجعها حتى لايظن البعض باننا نفتري على أحد أو ننسج من الخيال والاوهام.

قال لينين[1] : « لقد نظرت الماركسية دائماً الى الأديان والكنائس وجميع المنظمات الدينية كأدوات بيد الرجعية البرجوازية للدفاع عن الاستغلال ولتسميم عقل الطبقة العاملة»

وقال لينين[2] : «ينبغي علينا ان نحارب الدين ، هذا هو ألف باء كل المادية وبالتالي الماركسية ، لكن الماركسية ليست مادية تقف عند الألف باء انها تذهب بعيداً لتقول يجب ان نعرف كيف نحارب الدين ولكي نقوم بذلك يجب ان نفسر مصدر الايمان والدين بين الجماهير بطريقة مادية ، ان محاربة الدين لا يمكن ان تقتصر على التبشير الايديولوجي المجرد ، ويجب الا تختزل الى مثل هذا التبشير ، ان هذا النضال ضد الدين يجب ان يرتبط بالممارسة الملموسة للحركة الطبقية التي تهدف الى القضاء على الجذور الاجتماعية للدين »

وقال هذا القطب الشيوعي الكبير [3] «ان الحزب يناضل

(١) في كتاب « نصوص حول الموقف من الدين » ترجمة محمد مكية ، منشورات دار الطليعة بيروت . في ص ٩٩ .

(٢) من نفس المصدر ص ١٠٣ .

(٣) في ص ١٤١ من نفس الكتاب .

في سبيل ان يحطم كلياً الروابط بين الطبقـات المستغلة وتنظيم الدعاية الدينية ، وايضاً في سبيل ان يحرر فعـــلا الشغيلة من الاوهام ، منظما الدعــاية الأكثر اتساعاً ضد الدين ونشر المعرفة على نطاق واسع » .

وقال هنري لوفافر[1] « قال ماركس : ان البؤس الديني لهو التعبير عن البؤس الواقعي والاحتجـاج على هذا البؤس الواقعي في وقت معاً . الدين زفرة الكائن المثقل بالم ، وروح عالم لم تبق فيه روح ، وفكر عالم لم يبق فيه فكر انه افيون الشعوب اذن فنقد الدين هو الخطوة الاولى لنقد هذا الوادي الغارق في الدموع » .

وقال انجلس[1] تكمن اصول الديانة في النظريـــات المحددة الجاهلة التي تنشأ في حالة الهمجية » .

وفي كتاب البيان الشيوعي :

---

(١) كتاب « كارل ماركس » ترجمة محمد عيتـاني ، نشر دار صادر ، طبع بيروت عام ١٩٥٩ ص ١٦ — ١٧ .

(١) في ص ٢٤٢ من المجلد الأول من كتاب أصول الفلسفة الماركسية .

(ان الدستور والاخلاق والدين كلها خدعة البورجوازية وهي تتستر وراءها من اجل مطامعها) .

وفي الموسوعة السوفياتية الكبيرة في ص ٦١٥ – ٦١٩ من الجزء الثاني عشر : ان الاسلام لعب على الدوام كغيره من الاديان الاخرى دوراً رجعياً وكان دائماً اداة في ايدي الطبقات الرجعية المستقلة لارهاق الطبقات العاملة ، واداة للاستعمار الاجنبي الرامي الى استعباد شعوب الشرق ... ان السنة والقرآن كليهما يبرران النظام الطبقي والاستغلال (الخ)[1] .

(ان العقيدة الدينية الاسلامية هي القوة المظلمة التي لا تزال تفسد العقول وحياة الشعوب وتعيق النمو وتقف كأي حاجز في طريق السعادة والنور والمعرفة . هذا وان الطقوس الدينية لا تزال لاصقة ثابتة)[2] .

ونستخلص من شتات تصريحات قادة الشيوعيين ، ونصوص عمالقة الحزب ، امثال لينين ،ماركس ، انجلس ومن لف لفهم

(١) الاسلام فكرة وحركة وانقلاب فتحي يكن ص ١٠ .

(٢) صحيفة تركمانسكايا اسكرا في ١/كانون الأول/١٩٥٨/ الاتحادالسوفياتي

ان الدين اغلال واصفاد توضع على اعناق الطبقة الكادحة ، وتكبل بها ايادي وارجل العمال والفلاحين .

وان الدين وسيلة لحماية الطبقة البرجوازية ، واداة لاخماد لهب الثورة في نفوس الثائرين والمضطهدين ، وآلة لضرب الشعوب والجماهير التي تهدف الى الانتفاضة والنهوض .

وان الدين يشل الحركة والنشاط والفعالية في سبيل التقدم والحرية وازالة الكابوس عن كاهل الطبقة المستغلة .

وان الدين يؤثر في الشعوب البائسة المسكينة المحرومة ، اثر الأفيون والحشيش في الادمغة والرؤوس ، لانه أفيون الشعوب ومخدر للعقول ، ويجب النضال في سبيل زعزعة المبنى والاساس حتى ينال الشعب المضطهد المبتغى من الحرية والكرامة والخبز والمال .

هذه نبذة من أقوال زعماء الشيوعيين حول الدين ، اقتبسناها من كتبهم وسنعرض بعض الاجابات والردود ، عسى أن يفيق الشيوعيون ويلتفتوا الى تفاهة رأي سادتهم في هذا الموضوع :

١ — تاريخ الأديان :

عندما نعود الى الخلف والوراء ، وننبش عن أطلال وأنقاض الحضارات البشرية التي انصرمت وبادت ، وعندما نتجول في أقبية المتاحف والآثار القديمة التي عثر عليها الانسان خلال رحلاته على وجه الارض وخلال تنقيبه عن الماضين ، نلمس بان الانسان منذ نشوئه وخلقته ، كان معتنقاً لدين من الاديان ، وكان مؤمناً باله ونظام وتعاليم ، ونقف بان النزعة الدينية قد رافقت الانسان في المراحل البدائية من الحياة على وجه الارض . ففي كتاب على اطلال المذهب المادي لفريد وجدي ما ملخص كلامه اننا اذا توغلنا في الماضي السحيق ، وذهبنا الى أعماق التاريخ حيث المجاهيل والغابات والظلمات ، لشاهدنا انسان ذلك اليوم لم يتجرد عن الدين ، ولم يكن عاريا عن العقيدة والمبدأ ، مهما كانت سخيفة وتافهة في نظرنا هذا اليوم حتى المرحلة الشيوعية البدائية التي تؤمن بها الماركسية كانت تزاول العبادة وتمارس الدين وعلم التنقيب عن الآثار القديمة يعزز هذا الرأي والموقف .

يقول هنري برجسون[1] : (لقد وجدت وتوجد جماعات انسانية من غير علوم وفنون وفلسفات ، ولكنه لم توجد قط جماعة بغير ديانة) .

ويروي لنا معجم لاروس للقرن العشرين[2] (ان الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية حتى اشدها همجية واقربها الى الحياة الحيوانية ، وان الاهتمام بالمعنى الالهي وبما فوق الطبيعة هو احدى النزعات العالمية الخالدة للانسانية) ويقول : (ان هذه الغريزه الدينية لا تختفي بل لا تضعف ولا تذبل ، الا في فترات الاسراف في الحضارة وعند عدد قليل جداً من الافراد) .

فعلم الانثروبولوجيا (   )

قد برهن بان الانسان البدائي قبل التاريخ ، وفي العصور الحجرية ، وفي عهود الظلمات ، قبل ان يكون اقطاعياً أو

---

(1) Henri Bergson . Les Deux sources de la moyale et de la Religion, P. 109 .

(2) Laresusse du xxéme, article : Religion.

برجوازياً وقبل الاستغلال والاستثمار كما في مرحلة الشيوعية البدائية – على حد زعم الماركسيين – كان الدين رابضاً وجاثماً على القلوب ومخيماً على بال الانسان آنذاك .

ولم يكن من صنع الاقطاعيين أو الرأسماليين والمتربعين في أعلى قمة الهرم الاجتماعي المستحوذين على الحكم بصورة غير مباشرة لان الشعوب قد مارسته قبل نشوء التركيب الطبقي ، وقبل ان يغرق الوادي بدموع البائسين والمستغلين .

٢ ـ الدين والطبقة الكادحة :

يزعم قادة الحزب الشيوعي بأن الدين قد حبل به في ادمغة رجال يتعاطفون مع المستغلين، بعد التلاقح الذي تم بين المستغلين والذائدين عن كيانهم وبنيتهم الاستثمارية ، لاطفاء شعلة الثورة المسعورة في نفوس المضطهدين ،تجـاه المترفين المختلسين لحقوق العمال والفلاحين ، مع اننا اذا تريثنـا في تاريخ الأديان ، وعمدنا الى منبته ومصدره ، لوجدنا عكس مـا تتكهن به الماركسية حيث ان الديانات قد تكونت ونشـأت في ظـل الفقر ، وفي احضان البائسين والمحرومين .

فهذا السيد المسيح عليه السلام قد نما في بلدة النـاصرة الفقيرة ، وكان هو رجلا زاهداً وفقيراً . ففي الحديث أنه عليه السلام كان يفترش الأرض ويلتحف السماء من شدة فقره ، وانه لم يضع لبنة على لبنة قط في حياته الكريمة . انه عليه السلام قد نذر نفسه لخدمة الناس والجماهير الفقيرة ، واستـأثر لنفسه الحرمـان والمسكنة . يقول الفقيه الكبير السيد محمد باقر الصدر [١] :

---

(١) اقتصادنا ج ١ ص ٨٥

(فهذه هي المسيحية لم يحمل لوائهـا في ارجـاء العـالم وفي الامبراطورية الرومـانية على وجه خـاص الا اوائك الرسل الفقراء الذين لم يكونوا يملكون شيئـاً سوى الجذوة الروحية التي تشتعل في نفوسهم وكذلك لم يكن التكتل الأول الذي احتضن الدعوة الاسلامية وكان النوة للامة الاسلامية ليضم – على الأكثر – الا الفقراء واشبـاه الفقراء من المجتمع المكي فكيف يمكن ان يفسر الدين على انه نتاج للطبقة الحاكمة خلقته لتخدير المضطهدين وحماية مصالحها) .

وهذا نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان فقيراً قد آواه جده عبد المطلب فترة من الوقت حتى ان كبر وشب عن الطوق فسعى في اموال خديجة بنت خويلد ، وغدا عاملا في تجارتها المتنقلة بين مكة والشام ، الى ان صدع بالحق وبعث رسولاً بين الناس فالتف حوله عند بزوغ فجر الاسلام الفقراء ، وحمل عبـأه في سبيل اذاعته ونشره بين الناس جمع من المساكين .

ان الطليعة الأولى من المسلمين المتحمسين لبث الاسلام ، كانوا من اسوأ الناس اقتصاديا ، واتعسهم مادياً فهذا علي عليه السلام وابو ذر الغفاري وعمـار بن ياسر ، ومقداد بن اسود الكندي وبلال

الحبشي و ... عاشوا فقراء وماتوا فقراء ولم يدخروا شيئاً من الدينار والدهم . خاضوا المعارك الدامية مع بطون خاوية غرثى ففي حرب خندق كان المسلمون يحفرون الارض وعلى بطونهم حجر المجاعة كي يخفف عنهم لسع الجوع ، ويقل ألم فراغ الأمعاء .

لقد انفقت خديجة معظم اموالهـا على المسلمين ألأوائل . وبذل كل صحابي متمكن ما يملك على أخيه المسلم . فإذا كانت نبوأة الماركسيين في الدين وحملته صحيحة ، لحظى المبشرون والمدافعون عن الدين ، بحياة وسط على الأقل ان لم تكن حياة كريمة رغدة .

يقول الامام علي بن أبي طالب في خطبة بليغـة (الا وان إمامكم قد اكتفى من ديناه بطمرية ومن طعمه بقرصية)[1] .

فأين الأموال التي تغدق على رجال الدين، للسهر على استغلال المستثمرين ؟

---

(١) نهج البلاغة .

٣ - الدين والاستغلال :

تقول الماركسية ان الدين اسلوب ناجح لاستعباد الطبقة الكادحة ، وطريقة ماكرة للحيلولة دون النهضة والثورة ، ووسيلة فذة لتضخيم الثروات والتولية على زمام الأمور . مع اننا اذ لاحظنا الأديان السماوية ، واستقصينا تعاليمها ، للمسنا ان الدين يشن حملة عنيفة ضد الاستغلال ، ويثير حربا شعواء ضد المستغلين ، وينسف البنيات والقواعد التي على أساسها يستمر الانسان انسانا آخر ، ويوصد الابواب في وجه كل انسان يعبث في الأرض ويسعى في سبيل الاثراء على حساب الآخرين، ويلاحق المترفين الذين اتخموا وبذخوا من السبل اللامشروعة ، ففي العهد الجديد[1] : (قال له يسوع ان كنت تريد ان تكون كاملا فاذهب وبع كل شيء لك واعطه للمساكين فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني فلما سمع الشاب هذا الكلام مضى حزيناً لأنه كان ذا مال كثير فقال يسوع لتلاميذه الحق لكم انه يعسر على الغني دخول ملكوت السماوات وأيضاً أقول لكم انه لأسهل أن

---

(١) انجيل متى الفصل التاسع عشر ٢١ — ٢٥ .

يدخل الجمل في ثقب الابرة من أن يدخل غـني ملكوت السماوات) .

وفي رسالة القديس يعقوب[٢] : (هلموا الآن أيها الأغنياء ابكوا وانحبوا على الشقوات التي تأتي عليكم ان أموالكم قـد فسدت وثيابكم أكلها العث ذهبكم وفضتكم قد صدءا ، وصدئهما سيشهد عليكم ويأكل لحومكم كالنـار فقد ادخرتم الكنز للأيام الأخيرة هـا ان اجرة العملة الذين حصدوا حقولكم تلك التي نجستموهم اياها تصرخ وصياح الحصادين قـد بلغ الى اذني رب الجنود) .

وأما الاسلام فقد أغلق المداخل والمنافذ لابتزاز الاموال من الطبقات المحتاجة ، وحارب كل مستغل يرمي اقتنـاء الأرباح الطائلة ، وحرّم جميع الطرق والسبل التي تدرّ النقود بغزارة ووفرة على طبقة خاصة .

فهاجم الربا والمرابين أقسى هجوم قال الله تعـالى (الذين

(٢) الفصل الخامس ١ ـ ٥

يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس)[1] .

وحرّم الغش في المعاملات قال رسول الله ﷺ (من غش مسلماً في بيع أو شراء فليس منا . وقال أيضاً من بات وفي قلبه غش لأخيه المسلم بات في سخط الله وأصبح كذلك وهو في سخط الله حتى يتوب ويرجع ، وان مـــات كذلك مات على غير دين الاسلام) [2] .

ومنع الاحتكار ففي عهد الامام علي عليه السلام الى مالك الاشتر (فمن قارف حكرة بعد نهيك اياه فنكل وعـــاقب في غير اسراف) [3] .

وحظر البخس في الكيل والتطفيف في الميزان قوله تعـــالى

---

(١) سورة البقرة ٢٧٥ .

(٢) وسائل الشيعة باب ٨٦ من أبواب مـــا يكتسب به – من كتاب التجارة ج ١٢ ص ٢١٠ .

(٣) وسائل الشيعة باب ٢٧ من أبواب آداب التجارة ج ١٢ ص ٣١٥ .

(ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين)[١] . وقوله تعالى (ويل للمطففين)[٢] .

وقرر توزيـع مصادر الثروة من الأرض والآبار البترولية والمعادن التي تستخرج من الأرض والثروات اللحمية من الطيور والأسماك توزيعاً عادلا على كل محتاج وفقير من دون تمييز لفئة على مئة ومن دون تفريق على أساس مذهبي أو ديني أو طائفي .

فقد روي عن النبي ﷺ (من عمر أرضاً ليست لأحـد فهو أحق) .

وقال فقيه عصرنا هذا السيد محمد باقر الصدر أدام الله ظله : (أما المعادن الظاهرة – ويعنون منها كل مادة لا تحتـاج الى تصنيع عندما يراد بيعها في الأسواق العـالمية ، مثل النفط والياقوت والألماس وما يضاهيها – فالرأي الفقهي السائد فيهـا هو أنها من المشتركات العامة بين كل الناس ، فلا يعترف الاسلام لأحد بالاختصاص بها وتملكها ملكية خاصة لأنها مندرجة عنده

---

(١) سورة هود ٨٥ .

(٢) سورة المطففين ١ .

ضمن الملكية العامة وأما المعادن الباطنة – وهي كل معدن يفتقر الى جهد وعمل كالذهب والفضة والحديد – فما كان منها قريباً من سطح الأرض فهو كالمعادن الظاهرة[1]) .

وشدّد النكير على الراشي والمرتشي ، خشية تمييع القضاء وتردّيها في أحضان الأقوياء النفعيين ، قال الله سبحانه (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون[2]) .

ونهى عن تكديس الثروات وكنزها ، قال الله عز وجل (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم[3]) .

ووبّخ الحاكم الذي يصبو ويجنح نحو الأغنياء طمعاً في ثرائهم أو تقربا من كيانهم الاجتماعي . فقد كتب الامام علي بن أبي طالب رسالة يؤنب فيها واليه على البصرة عثمان بن حنيف بعدما

---

(١) اقتصادنا ج ٢ ص ٤٤٠ .

(٢) سورة البقرة ١٨٨ .

(٣) سورة التوبة ٣٤ .

استجاب دعوة ثري من أثرياء البصرة قائلا: (أما بعد يابن حنيف فقد بلغني ان رجلا من فتية أهل البصرة دعاك الى مأدبة فأسرعت اليها تستطاب لك الألوان، وتنقل اليك الجفان، وما ظننت أنك تجيب الى طعام قوم عائلهم مجفو، وغنيهم مدعو فانظر الى ما تقضمه من هذا المقضم فما اشتبه عليك علمه فألفظه وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه).

وساوى بين الفقير والغني وبين الأبيض والأسود وبين العربي والأعجمي ملغياً الفوارق الطبقية والعنصرية وواضعاً مقياساً حديثاً في العالم للتفاضل هو التقوى والسلوك الطاهر والقلب النقي قوله تعالى (ان أكرمكم عند الله أتقاكم)[1]. وقال رسول الله ﷺ (لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود. كلكم من آدم وآدم من تراب).

وأمر بمقاطعة الظالم واعلان الحرب الشعواء في وجهه قائلا (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله[2]).

---

(١) سورة النساء ١.

(٢) سورة الحجرات ٩

والظالم هو الانسان الذي تعدى حدوده وتجاوز على الآخرين بالاختلاس لأموال أو البخس في أجور عامل أو القذف بكلام باطل أو أي شرخ وتجريح لعواطف الانسان قال الله سبحانه (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها وأجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً[1]) .

ودفع المستعبد للانسان بقول الامام علي بن أبي طالب عليه السلام (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم أحراراً) .

فكيف يسوغ ان الدين الذي هو نسيج أدمغة المستغلين – حسب زعم الماركسيين – يحارب المستغلين ، ويكون عاصفة هوجاء في وجوههم ؟

ان الماركسية تأمل من الدين ان تركع أمام عتبة الطاغين والمتعنتين وتراعي مصالحهم ومصادرهم المالي وتحافظ على شؤونهم وكيانهم وبنيتهم . مع ان الأديان السماوية تكافح كل

---

(١) سورة النساء ٣ .

انسان ظالم مستغل وتقهره على التراجع والتقهقر من جشعه ونهمه وتعسفه مهما كلف الثمن ، ومهما استنزف القوى من الانسان الزاجر الرادع عند ردعه ودحره وابادته .

٤ – الدين والثورة

ان الاسلام ثورة ضد الطغاة والبغاة وانتفاضة عن كل استسلام وركون الى الظالمين الخائنين، ومعين يتدفق بالحيوية ويمد الثائر بالطاقات الهائلة لمصارعة كل عنصر اثيم، ويدفع المستضعف المضطهد نحو النضال والكفاح.

فقد قال رسول الله ﷺ (افضل الأعمال كلمة حق تقال عند سلطان جائر).

وقال أيضاً (الساكت عن الحق شيطان أخرس).

وقال علي عليه السلام (من ترك انكار المنكر بقلبه ولسانه فهو ميت بين الأحياء)[١].

وقال الامام الباقر عليه السلام في حديث طويل وفيه (فانكروا بقلوبكم والفظوا بألسنتكم وصكوا بها جباههم ولا تخافوا في الله

(١) وسائل الشيعة – الباب الثالث من كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – ج ١١ ص ٤٠٤

لومة لائم فإن اتعظوا والى الحق رجعوا فلا سبيل عليهم انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب أليم . هنالك فجاهدوهم بأبدانهم وابغضوهم بقلوبكم غير طالبين سلطاناً ولا باغين مالاً ولامرتدين بالظلم ظفراً حتى يفيئوا الى امر الله ويمضوا على طاعته(١) .

وكتب الحديث والسنة زاخرة بمثل هذه الروايات الحافزة على مجابهة المستغل المستثمر باللسان واليد بالطرق السلمية والحربية حتى يعودوا الى صوابهم ويهتدوا نهج الرشاد .

ان السيد المسيح عليه السلام قد شرد ونفي من بلده واوذي على يد اليهود ولوحق تحت كل حجر ومدر لأنه عليه السلام عارض ممارستهم الطبقيه وايقظ شعور الشعب في سبيل مناوأة المستغلين وعذب على ايدي المستبدين والمصلحيين شر عذاب .

وهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد بعث في حمأة الطبقية وخضم التقاليد والنزعات القبلية الحائرة . لقد اعد الارستقراطيون من

---

(١) وسائل الشيعة – الباب الثلث من كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – ج ١١ ص ٤٠٣

الجاهليين العدة والعتاد لخنق الاسلام في مهده ، وطاردوه في كل زاوية ومكان وحاربوه بالافك والبهتان ولما يئسوا من الانتصار عن طريق التضييق والاعلام السيــاسي ، عمدوا الى بيته ليقتلوه بعد التكاتف والتكتل بين رؤساء القبائل المعادية المستغلين للقضاء على النبي محمد ﷺ فتسرب هذا النبـــأ الى النبي الأكرم ﷺ فغادر مكة ، وعمد الى ارض يثرب المدينة .

لقد واجه الأذى والمحن الكثير من ايدي القادة والزعمـــاء عندما عرفوا بان بنيتهم الاجتماعية والاقتصادية على مشـــارف السقوط والانهيار . انه قال ما اوذي نبي بمثل ما اوذيت .

واذا قلبنا تاريخ الاسلام وخـاصة تاريخ الشيعة لوجدنا بان الصحابة المنتمين الى اهل بيت الرحمة كانوا في ذروة الثورة على الظالمين .

فهذا ابو ذر الصحابي الجليل قد نفي من المدينة بامر عثمان حينما انتقده ابو ذر ، وأخذ عليه المؤاخذات ، فقدم الى الشـام وثار الشيخ الهرم في وجه معاوية قائلاً من اين لك هذه الأموال التي تبني بها القصور ولا تصرفها على الفقراء .

ومن كلمـاته المشهوره (كاد الفقر ان يكون كفراً) و (اني

لأعجب لمن يبيت طاويا ليلته كيف لا يخرج على النـاس شاهراً سيفه) .

وهذا عمـار بن ياسر قد اعترض على بعض تصرفات عثمان الفردية فضربه الخليفة عثمان حتى مني عمار بالفتق .

وهكذا بقية الصحـابة الذين كانوا يرتبطون بمدرسة اهل البيت وخط علي عليه السلام .

وهذا حسين بن علي عليه السلام يثور في وجه الطـاغية يزيد بن معاوية حافزاً للناس على محاربته قائلاً (ألا ترون الحق لايعمل به والباطل لا يتناهى عنه فإني لا ارى الموت الا سعادة والحيـاة مع الظالمين الا برما) .

وقال الامـام الحسين أيضاً بعد ان طلب اليه النزول على طاعة يزيد (يابى الله ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طـابت وبطون طهرت وانوف حمية ونفوس أبية من ان تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام) .

ويشهد تاريخ الشيعة حلقـات من الانتفاضـات المتلاحمة والمتلاحقة عبر التـاريخ ضد الظـالمين والمستغلين حتى الاونة الاخيرة .

فثورة السيد جمال الدين الافغاني الشيعي في مصر ، وثورة السيد الشيرازي الكبير ضد المعاهدة البريطانية مع الحكومة الايرانية حول التنباك في ايران وثورة علماء الشيعة في النجف الاشرف ومدينة كربلاء من العراق في عام ١٩٢٠ المعروفة بثورة العشرين ضد احتلال الجيش البريطاني للعراق تستقى وتستلهم من ينبوع الاسلام وتستمد حيويتها من تعاليم اهل البيت والأئمة الأطهار عليهم السلام .

لقد نعتتنا الطوائف الأخرى المسلمة بالروافض لاننا رفضنا الخضوع والخشوع امام اي متجاوز وظالم واعلنا الحرب في وجه الطغاة مهما كان شكله ولونه وابينا المساهمه والانضمام الى فئة المستغلين الطامعين، ورفضنا الا نضواء تحت لواء الغاشمين الجائرين من الولاة والخلفاء الأمويين والعباسيين .

فعن الامام الصادق عليه السلام (من مشى الى ظالم ليعينه وهو يعلم انه ظالم فقد خرج عن الاسلام)[١] .

وعن الامام موسى بن جعفر عليه السلام الى صفوان بن

---

(١) مكاسب الشيخ الأنصاري ص ٥٤

جمال – احد اصحابه .– يا صفوان كل شيء منك جميل ما خلا شيئـــاً واحداً فقلت جعلت فداك اي شيء قال ، عليه السلام اكراؤك جِمالك من هذا الرجل يعني هرون الرشيد ، قلت والله ما اكريته أشراً ولا بطراً ولا لصيد ولا للهوٍ ، ولكن اكريته لهذا الطريق يعني طريق مكة ولا اتولاه بنفسي ولكن ابعث معه غلماني ، فقـــال لي يا صفوان أيقع اكراؤك عليهم قلت نعم جعلت فداك ، قال أتحب بقاءهم حتى يخرج اكراؤك قلت نعم قال من أحب بقاءهم فهو منهم ، ومن كان منهم كان وروده الى النار ، قال صفوان فذهبت فبعت جمالي على آخرهــا فبلغ ذلك الى هرون فدعاني فقال لي يا صفوان بلغني أنك بعت جمالك قلت نعم قال ولِمَ قلت انا شيخ كبير وان الغلمان لا يقومون بالاعمال فقال هيهات هيهات أني لاعلم من أشـــار عليك بهذا انما أشـــار عليك بهذا موسى بن جعفر عليه السلام قلت مـــالي ولموسى بن جعفر قال دع هذا عنك والله لولا حسن صحبتك لقتلتك[١] .

وقد سأل خياط يخيط ثياب السلاطين الغاشمين بعض علماء الشيعة المنتمين الى اهل البيت عليهم السلام مستفسراً اياه اني

---

(١) مكاسب الشيخ الانصاري ص ٥٥

رجل اخيط للسلطان ثيــابه فهل تراني بذلك داخلاً في اعوان الظلمة قــال له المعين من بيعك الأبر والخيوط وامـــا انت فمن الظلمة انفسهم[1] .

ومساعدة الظالم حرام حتى في بناء المسجد التي هي بيوت الله لأن في ذلك ترويج ودعم لكيان الجـــائرين فعن الامام الصادق عليه السلام لبعض اصحـــابه لا تعنهم – الظلمة – على بنـــاء مسجد[2] .

فبـــالله عليك هل يكون هذا الدين الثوري المحطم للمستغلين ، والمحارب للمستثمرين ، والنـــاسف لكل متجاوز وباغي افيونا ومخدراً ؟ وهل ان الدين الأفيوني يدك عروش الاقطاعيين والناهبين والمستغلين بمثل هذه المقامع والمطـــارق الحديدية .

---

(١) مكاسب الشيخ الأنصاري ص ٥٥

(٢) مكاسب الشيخ الأنصاري ص٥٤

٥ – الدين والأغنياء :

اذا كان الدين وليد الاضطهاد ، وتنفس للبؤس والحرمان ، وتخدير للاعصاب وتهدئة للنفوس ، فلماذا نجد اعداداً هائلة من الأغنياء الرأسماليين والاقطاعيين يزاولون تعاليم السماء ، ويتشرفون بتنفيذ طقوس الدين ، وينفقون معظم اموالهم على الفقراء والمساكين ويوقفون العقارات على المساجد والكنائس ويضحون بانفسهم في سبيل مبدئهم وعقيدتهم ان استلزم الأمر التضحية والفداء ؟ .

ان جمعاً من المترفين يبذلون ثلث ما يملكون في حياتهم او يوصون به بعد منيتهم على المشاريع الخيرية زائداً على دفع الضريبة الالهية من الزكوة والخمس من ارباحهم وعوائدهم السنوية الى البائس والفقير .

ان الجامعات الدينية المسيحية والاسلامية في العالم تستنزف اموالا طائلة ، وان المدارس والمستشفيات الخيرية ودور الأيتام والجمعيات والخلايا الثقافية والاجتماعية تنتعش بثروات الاغنياء الصالحين .

فقل أي ضغط واضطهاد يواجه الغني لدفع هذه الكميـــات الطخمة وصرفها في وجوه البر والاحسان ؟ وأي تعبير وترجمة عن البؤس والحرمان يمكن ان يحاط بعمل هذا الثري المنفق ؟ .

اذا كان هذا البذل والصرف ينطوي على تخدير واغراء ، فان الانســـان المستغل الحذق يسعى في سبيل ان يكون ثمن اقراص التخدير رخيصاً لا باهظاً وزهيداً لا عبئاً ثقيلا . فبذل الثلث أو اقتطــاع شطر من الغلات او قطيع من الاغنـــام او الأبقار او الآبال في الزكـــاة او تخميس ارباح السنة في فريضة الخمس ، ليس بيسير ولا هين .

لقد قسم الامام الحسن سبط الرسول عليه السلام امواله بينه وبين الفقراء بالتنصيف مرات عديدة ، وضيق الامام علي بن ابي طالب على حياته الاقتصادية في ايام خلافته وامارته ، واكتفى على الضروريات الأولية التي لا يستغني الانسان عنها ابداً .

فقد قـــال في كتــابه الى عثمان بن حنيف (ألا وان لكل مأموم إماماً يقتدى به ويستضيء بنور علمه ألا وان امامكم قد اكتفى من دنيـــاه بطمريه[1] ومن طعمه بقرصيه ألا وانكم لا

---

(١) الثوب البالي

تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً[٢] ولا ادخرت من غنائمها وفراً[٣] ولا أعددت لبـــالي طمراً – ثم يقول – ولو شئت لاهتديت الطريق الى مصفى هذا العسل ولبــاب هذا القمح ونســائج هذا القز ولكن هيهات ان يغلبني هواي ، ويقودني جشعي الى تخير الأطعمه ولعل بالحجاز او اليمامة من لا طمع له في القرص ، ولا عهد له بالشبع او ابيت مبطانا وحولي بطون غرثى وكباد حرى أأقنع من نفسي بان يقال أمير المؤمنين ولا اشــاركهم في مكاره الدهر او ان اكون اسوة لهم في جشوبة العيش) .

وكان الامــام علي بن الحسين زين العـــابدين يحمل الجراب المشحون بالطحين والسمن والتمر على كتفه وظهره ويوزعــه على بيوت الأرامل واليتامى والمحتــاجين تحت جنح الظلام وسواد الليل ، وترك هذا الجراب بصماته على كتفه وظهره من الخشونة والغلظة .

(٢) الذهب والفضة قبل ان يصاغ .

(٣) المال .

فلو كان الدين أفيونا ومخدراً لما طوقت هذه الطليعة القائدة حياتها وعيشتها بهذه الدرجة من العسر والضيق ؟

ان فئة من الاغنياء والاثرياء والرؤساء الأتقياء يضحون بأنفسهم عن عقيدة واخلاص ، وينضمون الى صفوف المقاتلين والثوار ، عندما يشعرون بالخطر الداهم على الدين وعلى كيان العقيدة ، فهل يستطيع الماركسيون ان يفسروا هذه الظاهرة على أساس التنفيس عن الشقاء والبؤس والحرمان ؟

٦ – الدين والأدوار التاريخية :

آمنا بأن تاريخ الانسان قد مر بأدوار خمسة منذ بداية نشوئه وكينونته على وجه الأرض من الشيوعية البدائية ، والعبودية ، والاقطاعية، والرأسمـــالية ، والاشتراكية التي تعبّد الطريق، وتمهّد السبيل ، وتزيح العوائق والعراقيل عن النفوس ، للانتها، الى المرحلة الخامسة النهائية التي هي الشيوعية .

وآمنا بأن الانتاج وعلاقة الانسان بالقوى المنتخة ركيزة واساس للأبنية الفوقية من الفلسفة والدين والأخلاق والتقـاليد والسياسه وو ...

وآمنا بأن المبنى حينما يقتلع ويستأصل يتداعى البناء الفوقي، ويتغير هيكل النظام وتنهار البنية الاجتماعية .

ولكن نطرح السؤال الحاسم على طاولة البحث من أنه لماذا يتغير كل شيء من الأبنية الفوقية بزوال الأساس والمبني عدا الدين الذي هو أداة الاستغلال وحربة بيد المستغلين ؟

ان المسيحية قد شقت طريقها الى الوجود، عبر عشرين قرنا، حافلا بالاحداث المستعصية والتقلبات .

وان الاسلام قد اجتاز القرون والأجيـــال وتغلغل في كل الميادين والساحات ولم يصب بتغيير ولا تبديل بالرغم من ان كل شيء قد زال وزهق ، وان مراحل الحيـاة البشرية قد طويت وذهبت مع العلم بأن الاسلام قـــد تمخض الى النور – على زعم الماركسيين – في ظل ظروف العبودية أو الاقطاعية .

فهذا الصمود والثبات ، وهـــذا الرسوخ والقرار يسفر عن أصالته واستقلاله وعدم ارتباطه بأي عـــامل من العوامل الاقتصادية أو الاجتماعيـــة . وينجم عن كيانه وشخصيته المتصلبة في الوجود والبقاء .

٧ ـ التطور الديني والظروف الاقتصادية :

يقول لودفيج فيورباخ ـ أحد أقطاب الشيوعيين في القرن التاسع عشر ـ بأن الدين ينمو ويتطور على أساس التطور الاقتصادي ، فكلما تكامل الانتاج ، وتوسع الاقتصاد ، وارتفع الدخل القومي ، كلما اشتدّ وتكامل الدين : (فكل شعب حين تطور ظروفه الاقتصادية ، وأتاحت له اقامة مجتمع قومي مستقل كانت الآلهة التي يعبدها قومه آلهة قومية ، لا تتجاوز سلطتها حدود الأراضي القومية المدعوة الى حمايتها . وبعد أن تلاشت قوميات هذه الشعوب بالاندماج في امبراطورية عالمية ، هي الامبراطورية الرومانية ظهرت الحاجة الى دين عالمي أيضاً وكان هذا الدين العالمي هو المسيحية التي أصبحت ديناً رسمياً للدولة بعد مرور ٢٥٠ عاماً على نشأتها وتكيفت المسيحية بعد ذلك بالظروف الاقطاعية ، وحين بدأت تتعارض بشكلها الكاثوليكي، مع القوى البرجوازية المتنامية ظهرت حركة الاصلاح الديني البروتستانتية)[١] .

---

(١) لودفيج فيورباخ ص ١٠٣ – ١٠٥ .

ودحض هـذا الزعم واضح لدى كل من يقلّب صفحات التاريخ ، ويبتغي الاطلاع على تاريخ نشوء الأديان . فان منبت المسيحية الناصرة الكائنـة في اقليم شرقي ناءٍ عن المجتمع الراقي المتواجد آنذاك في ظل الامبراطورية الرومانية على بقعة غربية من العالم، بينما تستدعي تخرصات الماركسية أن تتمخض المسيحية من أحشاء الامبراطوية الرومانية .

كما أن الحركات الاصلاحيـة لم تتم في وسط البرجوازية المقوتة ، فان لوثر وكالفن لم يلمعا على صعيد بريطانيا التي كانت في ذروة البرجوازية ، وانما ظهرت في أوساط مختلفـة عن الظروف الاقتصادية البرجوازية التي تفرز الاصلاحات والتكامل والتطور للأديان .

قال فقيه العصر السيد محمد باقر الصدر : (فالمسيحية لم تنشأ في نقاط التمركز السياسي ، ولم تولد في أحضان الرومان الذين بنو الدولة العالمية وكانوا يعبرون في نشاطاتهم عنها ، وانما نشأت بعيدة عن ذلك كله ، في اقليم من الأقـاليم الشرقية المستعمرة للرومان ونمت بين شعب يهودي مضطهد لم يكن ـ منذ استعمرته على يد القائد الروماني «بمبي» قبل الميلاد بستة عقود ـ يحـلم الا

بالاستقلال القومي وتحطيم الأغلال التي تربطه بالمستعمرين ، الأمر الذي كلفه كثيراً من الثورات وعشرات الألوف من الضحايا خلال تلك العقود الستة فهل كانت ظروف هذا الشعب المادية والسياسية والاقتصادية جديرة بأن تتمخض عن الدين العالمي ، الذي يلبي حاجات الامبراطورية المستعمرة .

– ثم أضاف المؤلف العظيم – لم يظهر «لوثر» في انكلترة . استجابة للوعي البرجوازي فيها – البرجوازية في انكلترة كانت أقوى منها في أي بلد أوروبي آخر – وانما ظهر بعيداً عنها ، ومارس نشاطه ودعوته في المانيا ، كما ظهر في فرنسا الزعيم الثاني للحركة في شخص «كالفن» البروتستاني العنيد الذي جرت في فرنسا على عهده عدة مذابح واشتباكات مروعة بين الكاثوليك والبروتستانت ووقف الأمير الألماني «وليم اورانج» يدافع عن الحركة الجديدة بجيش جرار)[1] .

وقد بزغ فجر الاسلام في بقعة لم تفهم الدولة القومية فكيف بالدولة الأممية ، اذ ان الجزيرة العربية كانت تعيش على نهج القبائل والزعامات المتمزقة المتناحرة ، وكان لكل جماعة إله

---

(١) اقتصادنا ج ١ ص ٨٧ – ٨٨ .

ومعبود ، ولكل فئة لهجة وتقاليد ونسك ، فانبثق الاسلام اثر المسيحية طارحاً الأصنام والأحجار على جانب ، ورافعاً بالمجتمع الجاهل المكي الى أوج الحضارة وقمة الرقي والمدنية في العالم .

فلم يكن تطور الأديان عبر التاريخ ترجمة للحاجات المادية ، وتعبيراً عن الظروف الاقتصادية كما يحسب ويخال قادة الشيوعيين .

٨ ـ الماركسية والقوى المنتجة :

تزعم الماركسية ـ كما أسلفنا الحديث عنه ـ ان عجلات المجتمع البشري هي بالاوضاع الاقتصادية ، وان قيادة قوافل الانسانية الزاحفة نحو الأمام تكون بيد القوى المنجة ، وان الافكار والتقاليد والفلسفة والاخلاق والدين و و ... افرازات من تلك الادوات والآلات ، وتعبير عن الظروف الاقتصادية ، فاذا تغيرت القيادة تغيرت مظاهر القطار السائر خلف الأوضاع الاقتصادية . وتغير الهيكل الاجتماعي الفوقي عند تبديل قواعده ودعائمه السفلية .

وعليه نستفهم انه لماذا كانت الابنية الفوقية تتلاشى ، ومظاهر المجتمع تزول عند تغيير الاساس والمبنى ، وأما نفس الافكار الماركسية التي ترشحت عن أدمغة ماركس وانجلس ولينين وفيورباخ الذين عاشوا في ظل ظروف خاصة اقتصادية والذين امضوا حياتهم في أحضان الاقطاع والرأسمالية ، لم تتبدد ولم تغب في الافق ، بالرغم من أنها من الابنية الفوقية ؟

وبالاحرى لماذا تصدأ وتبلى وتزول الافكار والطقوس

والتقاليد والفلسفة التي تشكل الابنية الفوقية للقوى المنتجة ولم تعتبر المادية الديالكتيكية والمـــادية التاريخية التي تندت عن عقول وأدمغة شخصيات امضوا حياتهم في ظروف خـــاصة اقتصادية مستعصية ، بالرغم من أنها من نوعية الافكار التي تعد من الابنية الفوقية ؟

أليس هذا التشطير بين المبادىء الشيوعية الـــتي اعتبرت خالدة وأبدية ، وبين المبادىء الاخرى والعقائد التي من ضمنهـــا الدين ، والـــتي اعتبرت زائلة ومندثرة، من التوزيع والتحكيم المجحف الغير العادل ؟

وأليس هذا التقسيم بين المادية الديالكتيكية كفكر وبين سائر الافكار تقسيما لشيء واحد الى شطرين غير متكافئين ؟

ان المباىء الماركسية وكافة العقائد والمبـــادىء على زعم الماركسيين من جنس واحد ونمط واحد . انها بأسرهـــا تستمد حيويتها ونشاطها من القوى المنتجة ، فلماذا هذه المفـــارقة والاختلاف بين فكر وفكر ؟

٩ – الدين والتنظيم الشامل :

ان الشقاء والبؤس والحرمان حينما تتنفس – كما ترى الماركسية – تفتح امامها ابواب الآمال والأحلام التي تلهي وتسلي للطبقة الكادحة الفقيرة ولا تتطرق الى مجال آخر .

وان الاقطاعية والرأسمالية والاستغلال عندما تريد ان تخدر الشعوب الثائرة ، وتطفأ نار الانتفاضة والثورة في نفوس العمال والفلاحين ، تعمد الى تخطيط ومؤامرة لالهاء الجماهير بمسائل خاصة تدور في هذا الفلك والمدار لتأمين استقرار الأمن لدى الطبقة العاملة الثائره او استتباب السلام والطمانينة في المجتمع ولا يعنيها المسائل الجانبية الثانوية التي لا علاقة لها بهذا المضمار أبداً لأن الطبقة المستغلة مهتمة ومعتنية بتخدير الشعب الذي يخشى منه ، فيأبه بقصة الطاعة للوجهاء والرؤساء وتقديم الخدمات للسادة وبذل الاسعافات الاجتماعية للأغنياء وعدم نهب الأموال وما شاكل هذه المسائل التي تحمي مصالح البرجوازيين ، وتحافظ على بنيتهم الاجتماعية ولا تبالي بالقضايا او التعاليم التي ليست لها صلة بهذا الاطار أبداً .

ولكننا اذا فحصنا شريعة محمد بن عبد الله ﷺ وجدناه قد تحدث عن كل موضوع وعالج كل مشكلة ووضع الحل لكل امر مستعص على الانسان ، وتطرق الى مجالات بعيدة في حياة الانسان .

فما هي علاقة تعاليم النظافة الكثيرة ، وآداب الأكل والشرب ، وآداب النوم واليقظة ، واحكام التجارة والاجارة والبيع ، وقوانين الطهارة والنجاسة وارشاداته في مجال السياسة والأمن والاقتصاد ، وهديه في الحياة الزوجية ، وكيفية مباشرة الزوجة وآداب المضاجعة ومقدماتها ومؤخراتها وقيادة الانسان في البيت والمدرسة والسوق والشارع ومن ايام الحمل الى فترة المخاض الى تربية الطفل من المهد الى ايام المراهقة والشباب والرجولة واللحد . ومن ايام العزوبه الى ايام الزوجية والابوة او الأمومة .

ان هذه التوسعة والشمول والتغطية لكل آفاق مرافق الحياة الانسانية لا تلتئم مع الفكرة الشيوعية القائلة بان الدين افيون الشعوب وتخدير للطبقة الكادحة المستغلة ، لأن هذه الغاية تتحقق وتنفذ بصياغة مجموعة خاصة من الغيبيات والروحانيات

والتعاليم البسيطة ثم التأكيد والتركيز عليها من دون حاجة الى التغلغل في هذه المجـــالات التي تبعد عن تحقيق هذا الهدف بعد الأرض عن السماء .

١٠ – الاسلام وتقدم العلوم :

ان التخدير يرهق الانسان لفترة خاصة ، وان الأفيون يغشي البصر لبرهة من الوقت ، وان التنفيس الكاذب لا يستمر وان الكابوس لا يضغط مدى الحياة .

فسرعان ما يفيق الانسان من تخدره ، ويصحو من افيونه ويبدو زيف التنفيس الكذب ، ويزول الكابوس المضني ، ويتلاشى العبأ الثقيل .

لقد أشرق نور الاسلام قبل أربعة عشر قرنا في مكة ، في بقعة بعيدة عن كل علم ومدنية وحضارة، وفي حمأة الجاهلية وفي غمرة الامية ، وفي بؤرة التخلف والانحطاط . وتحدى الدولتين العملاقتين الفرس والروم بقواه العسكرية ، وخاض معهما المعارك الدموية ، وخرج من ساحة الوغى منتصراً ظافراً داحراً جيش الفرس والروم وهازماً له بالرغم من عتاده وعدده وخبراته القتالية الطويلة وتحدى العلماء والجامعات والمختبرات والبحوث الدقيقة العلمية في كافة المجالات قائلا : (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله

ان كنتم صادقين)[1] . وقائلا (قل لئن اجتمعت الأنس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لاياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)[2] .

لقد انهمك المناوئون للدين الحنيف من تلك اللحظة الى يومنا هذا في التنقيب والتحري عن مؤاخذة وخطأ وغلط في القرآن فلم يعثروا على منشودهم ولم ينالوا مبتغاهم . بل شاهدوا ان تقدم العلم وتمادي البحوث والتجارب وازدياد الاكتشافات تحسر القناع عن وجه الاسلام ، وتسفر عن صدقه وصواب آياته .

واليك على سبيل المثال لا الحصر آيات علمية من القرآن الكريم قد دعمتها الكشوف الحديثة :

١ – قوله تعالى (وارسلنا الرياح لواقح)[1] .

ان علم النباتات الى الامس القريب لم يقف على دور هبوب

(١) سورة البقرة ٢٣

(٢) سورة الاسراء ٨٨

(١) سورة الحجر آية ٢٢

الرياح في حقل الزراعة لما تعمقت البحوث المضنية المتواصلة ، دروا بان الرياح تلقح الزهور الانثى بالذكور كي يتم الاخصاب ويحين موعد نشوء الفاكهة والثمار .

ان القرآن الكريم قد اعرب عن هذه الحقيقة العلمية الباهرة قبل عشرات المئات من السنين .

٢ - قوله تعالى : (بلى قادرين على ان نسوي بنانه)[١] .

ان علم الجرائم والجنايات قد فتح نافذة يستطيع المحقق العدلي ان ينفذ منها لمعرفة المجرم، وهي بصمات ابهام الانسان، حيث ثبت علمياً أنه لم يوجد ابهام يماثل ابهام شخص آخر على وجه الارض أبداً فإن هذه الخطوط الملتوية والحفر الفاصلة والتعاريج والمنعطفات في الأنملة تختلف من انسان لآخر ونلمس ان القرآن الكريم قد اماط اللثام عن هذه المسألة، وحسر القناع عنه في مجتمع أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا يفهم قبل أكثر من ألف عام .

(١) سورة القيامة آية ٤

٣ – قوله تعالى (يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد الى السماء)[٢] .

لقد اخبر القرآن الكريم ان العروج الى السماء يبعث على الضيق والخناق من جراء انعدام الاوكسجين الذي يفتقر إليه الانسان وبعد صنع الصواريخ والأقمار الصناعية ورحلة الأنسان الى الفضاء التفت بان هذه الرحلة لا تتوج بالنجاح اذا لم يتزود من الأرض بالأوكسجين لأنه معدوم ومفقود خارج غلاف الأرض المحدق بها .

وهكذا يكون حليف سائر الآيات الكريمة التي تبحث عن القضايا العلمية او الاجتماعية أو النفسية او الاقتصادية او الصحية او السياسية الصدق والنجاح .

واعني من حديثي هذا ان العلم لا يطارد القرآن وانه قد عزز ودعم كثيراً من الآيات وكلما تقدمت الأبحاث العلمية كلما تكللت آيات القرآن بالنجاح .

فهل يمكن ان تكون العقائد الأفيونية والمبادىء المخدرة

---

(٢) سورة الأنعام آية ٦

تساير العلم وترافق الأبحاث الدقيقة ؟ .

فإذن كيف يســاغ لنا ان نقول بان الاسلام افيون الشعوب ومخدر للجماهير وانه القوة المظلمة في المجتمع البشري.

١١- الدين والاتحاد السوفياتي :

ان دعاة الماركسية قد حاربوا الدين، وناضلوا في سبيل القضاء عليه في دار الحضانة والمدارس والجامعات وفي المصانع والندوات والنقابات وعلى صفحات الجرائد والمجلات وعلى شاشة التلفزيون وافلام السينما ومسرح التمثيليات وبالتهديد والتهجير والسجن ومرت اكثر من نصف قرن على هذا الكفاح الدائب المستمر . ولم ينتصروا في معركتهم هذه بالرغم من ان المتدينين السابقين قد قضوا حتفهم وان الأجيال اللاحقة قد نشأوا في احضان الماركسية والشيوعية .

ألم يكن هذا الفشل الذريع في استئصال جذور الايمان بالله سبحانه وتعالى ، خير دليل على ان الدين ينبع من الفطرة ، ويستمد من سجية الانسان .

لقد اضطر الاتحاد السوفياتي في الآونة الاخيرة ان يخفف الوطاة والضغط على الدين ويترك المجال مفتوحاً أمام الجماهير لممارسة طقوسهم الدينية في اطار المسجد والكنيسة ، واقرت وزارة شؤون الدين لمتابعة القضايا الدينية والمحافظة على عدم

تسربها الى خـارج الحدود التي فرضها زعمـاء الكرملن . ويعد هذا في عرف الحزب خرقاً لمبادىء المـاركسية ، وانحرافاً فظيعاً عن التعـاليم الشيوعية ولكن ماذا يصنع المرء اذا اصيب بنكسة كبيرة في تجـاربه العلمية ومني بدحر وهزيمة امـام الاختبارات والتجارب طيلة نصف قرن وزيادة .

ألم يكن هذا التراجع بعد تلك المحاولات المتوصلة للقضاء على الدين ، وبعد تلك التجارب المريرة كافيـاً لتفنيد مزاعم قـادة الشيوعيين . ودحض آرائهم ونظرياتهم .

١٢ - الدين والفطرة :

نستخلص من كل ما سردناه ونوهنا اليه ، ان الدين يتدفق من طبيعة الانسان ، ويتفجر من داخله ، ولهـــذا لا يخلو بشر من العقائد الدينية لا يعري عن الايمان بالصانع مهما كان شكله ولونه وطابعه قال الله سبحانه (فطرة الله التي فطر النـــاس عليها لا تبديل لخلق الله) [١] .

يقول تانه كي دوتن (لا يمكن تبديـــل الشعور الديني الذي يشكل أهم المقومات النفسية الأصيلة بأي شيء آخر من الظواهر النفسية فان الشعور الديني ينبع من معين فطري لا ينضب في النفس الانسانية ولا يقل في الأصالة عن أي من الجمـــال (الفن) والخير (الاخلاق) والحق (العلم) فالشعور الديني أو بتعبير آخر التقديس ، يعتبر البعد من الأبعاد الأصلية لشخصية الانسان)[٢]

ويقول الكسيس كارل : (في عقيدتي ان الشعور الديني ينبع

---

(١) سورة روم آية ٣٠ .
(٢) دور الدين في حياة الانسان ص ١٠٣ .

من أعماق الفطرة ويشكل غريزة أصيلة ونزوعاً أصيلا في نفس الانسان)[1] .

ويقول ول ديورانت : (الايمان بالله نابع من طبيعة الانسان مباشرة ووليد حاجة غريزية أصيلة في نفس الانسان) .[2]

ويقول أرنست رينان: (ان من الممكن أن يضمحل كل شيء نحبه وان تبطل حرية اسعمال العقل والعلم والصناعة ، ولكن يستحيل أن ينمي التدين بل سيبقى حجة ناطقة على بطلان المذهب المادي الذي يريد ان يحصر الفكر الانساني في المضائق الدنيئة للحياة الأرضية) .[3]

هذه هي بعض أحاديث وأقوال أعلام الشرق والغرب في العالم ، فهل نستطيع مع هذه النزعة الدينية التي يشعر بها كل انسان في داخله ان قادة الشيوعيين الراسمين للخط الشيوعي والذين افرضوا وجودهم على الجماهير بالحديد والنار ، والذين لا

---

(١) دور الدين في حياة الانسان ص ١٠٦ .
(٢) » » » » » ص ١٠٧ .
(٣) » » » » » ص ١٠٨ .

يتجاوزون عدد الاصابع على حق وصواب ، وبقية علماء العالم الذين يتمتعون بالحرية التامة في التعبير عن آرائهم يكونوا على خطأ وظلال ؟

فليس الدين بأفيون الجماهير وليس بمخدر للشعوب وانما كانت هذه الكلمات فلتات قد سقطت من لسان بعض القادة ، والتقطها بعض المتهوسين الطائشين .

رجال الدين والمستغلون :

ان الانسان المنصف ، عندما يلقي نظرة فاحصة الى المجتمع، ويتعمق في سيرة علماء المسلمين وسلوك الآباء وكبار رجال الدين من المسيحيين، يلمس بأن بعضهم يتاجرون باسم الدين ، ويرفعون شعار الاسلام والمسيحية للاستهلاك والنيل من المآرب والأهداف الشخصية .

اننا نشهد في هذا العصر ، زمرة من ذوي العمائم الكبيرة ، وذوي اللحى المسترسلة ، يتمرغون على عتبة الجائرين والخائنين، ويركعون أمام الزعماء السياسيين ، ويسيرون في فلك المستنزفين لدماء البائسين ، كما وان حفنة من آباء المسيحيين يباركون الطغاة والمستغلين على استبدادهم واضطهادهم ، ويشاركونهم في الضغط والارهاق للطبقات المنكوبة المنهوكة .

ان هؤلاء وتلك يستغلون الدين في سبيل تبرير تجاوز الحكام، ومشتهيات الزعماء ، ويستثمرونه لتنجيز مصالحهم وجشعهم ، ويسيئون باعمالهم هذه الى الدين ويبشعون بسلوكهم سمعة شريعة الله في المجتمع .

ولقد نبت في التاريخ البشرى في القرون الواسطى في اروبا رجال سخروا الدين لمسـاندة المستغلين والمختلسين لأقرات الشعوب الفقيره واستخدموا اردائهم ومنطعهم الديني للتكلم على الجماهير المنهوكة المرهقة والتنكر لمطاليبهم الحيـاتيه واعترضوا بوضعهم الديني كل ثورة وانتقاضة وتقدم ورقي .

ولكن المضطلع في المسائل العلمية يفصل بين الدين كحقيقه قائمة بذاتها وكمنهاج ارتسم على وجه الارض وكبرنامج شامل لمعالجة مشاكل المجتمع . وبين الممـارسين والمزاولين والمنحرفين المتاجرين .

فكم من الأطباء يمنعون الناس من احتسـاء الخمر او التدخين او تناول اكلة خاصته وهم ينهكمون فيها دون مبـالاة ولامراعاة .

وكم من رجال السياسة الذين ينادون باسم الشعب والحرية والعدالة والمساواة وهم يقتلون الشعب وينهبون الحرية ويبيدون العدالة ويحرقون المساواة ؟

وكم من زعماء الحزبيين الاشتراكيين يندبون النـاس الى الاشتراكين وهم من أكابر الرأسمالين ؟

فالأستغلال والانحراف لا تقتصر على بعض رجال الدين وعلماء المسلمين ـ وان كان المفروض ان يتجردوا ويتنزهوا من هـــذا الضلال والانحراف ـ بـــل يقتحم الاحزاب والمؤسسات والمنظمات .

ونحن في هذه الحلقة لانتوخى ان نذب عن تصرفات وسلوك العلماء ورجال الدين المنحرفين فان ذلك استغلال للسذج وتشويه للواقع المعاش . وانمـــا نعمد الى ابراز هوية الدين كدين من دون ارتباط بسلوك بعض حراسه وحامليه .

فيجب ان لانخلط بين والدين من جهة والمتقمصين لرداء الدين من جهة اخرى فقد يلتجأ الأنسان الى الاسلام او المسيحية لغايات استغلالية نفعية وقد يتخذ الدين وسيلة واداة لتصحيح وتبرير اعمال الظالمين وهذا لايعني ان الدين أفيون ومخدر للبـــائسين ومطرقة لقمع الثوار والناقمين وافراز ادمعة المستغلين والمستعبدين .

المضامين	صفحة